
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الاسلام والاسلامات

حوار بين فيلسوفين: محمد اركون، ايف لاكوست

اجرى الحوار : **ايف لاكوست**
ترجمة : **هاشم صالح**

* **إيف لاكوست** :اعطينا لعدد « هيرودوت » هذا العنوان التالي :

« جيوسياسية الإسلامات » (ج . اسلام) . ألا يصدمك هذا العنوان بصيغة الجمع ؟

* **محمد أركون** :على العكس ، إنه يناسبني تماماً ، أنا نفسي كنت قد تكلمت عن العقول الإسلامية بالجمع عندما حلّلت مفهوم العقل الاسلامي كما هو موجود في العلوم الإسلامية او التقليدية .

بالطبع فإن وجهة النظر التيولوجية « الارثوذكسية » لا تقبل برؤيا كهذه ، أو بتحليل كهذا . ذلك أنه ، بحسب رأيها ، لا يمكن أن يوجد إلا إسلام واحد كبير بالمعنى المثالي للكلمة ، اي الاسلام بمعنى دين الحق كما ورد في القرآن . بحسب هذه الرؤية ، فإن الحقيقة واحدة لأنها تحيلنا الى الله . وكل انحراف عقائدي يرفض باسم البدع أو الهرطقة .

ولكن من هو الذي يحدد مفهوم الارثوذكسية ومفهوم البدع والهرطقات ؟ بأي حق يفعل ذلك ؟ ومن الذي يخوله ذلك ؟ هل هو القرآن ؟ ولكننا نجد أن القرآن نص متعدد المعاني ومفتوح على الدلالات كافة اي على الشروحات والقراءات العديدة . هل هو النبي محمد ؟ ولكننا نجد هنا أن الاحاديث ونصوص التراث التي يتبناها كل من السنة والشيعة والخوارج هي مختلفة وتعكس عمليات وممارسات متغايرة عما يُدعى عادة بالتراث .

لا ينكر المؤرخ وعالم الاجتماع وجود نواة عقائدية مشتركة لدى كل المسلمين . ولكن الأناس العلميين لا يستطيعون ان يتجاهلوا تعددية الجماعات العرقية ـ الثقافية التي استمدت من الاسلام عناصر مُشكّلة لهوياتها وانتجت بذلك ما نسميه بالاسلام الاندونيسي والاسلام الباكستاني والتركي والايراني والافريقي ، الخ . .

لم يقم الفكر الاسلامي بعد بنقد مفهوم الارثوذكسية . ولهذا السبب فهو يؤكد اليوم اكثر من اي وقت مضى على القوة التوحيدية (او الموحِّدة) للاسلام . يتيح لنا النقد الحديث للايديولوجيات البرهنة على أن الارثوذكسية هي عبارة عن استملاك ايديولوجي للرسالة الأولية التي يلتصق بها المؤمنون . تقوم بهذا الاستملاك الايديولوجي الفئة المهيمنة اجتماعياً وسياسياً . إن ذلك يفتح أمامنا المناقشة النظرية الخاصّة بمكانة الدين ومكانة الايديولوجيا .

الدين والايديولوجيا

يرى البعض بأن الدين هو عبارة عن ايديولوجيا ضمن ايديولوجيات اخرى . هذا ما يعتقده بشكل خاص صديقي مكسيم رودنسون . ولكننا نلاحظ ان الدين يتجاوز من كل الجهات ما نسميه بالايديولوجيا ضمن الخط الماركسي . ذلك أن الدين ظاهرة تخترق التاريخ والمجتمعات والثقافات وتتعداها . إن الخطاب الديني بتحديده الألسني والسيميائي يجيّش الاسطورة والرمز والحكمة (المثل) والمجاز و « حكايات التأسيس » وهذا ما يؤمن له خصوبة معنوية (سيمانتية) لم تُستنفَد بعد على الرغم من مرور قرون عديدة من الشروح والتفسير والقراءات . أما ايديولوجياتنا الحديثة فهي ذات طموحات أو مزاعم علمية . انها تستخدم مفاهيم غامضة وغير محددة . ولكن هذه المفاهيم (والشعارات) سرعان ما تُستنفَد وتنكشف عن فقرها السيمانتي أو المعنوي . ينبغي بالطبع توسيع ما قلناه سابقاً وتعميقه من أجل أن نميز بشكل افضل بين

مكانة الدين ومكانة الايديولوجيا . اعتقد ان هذين المفهومين بصيغتيهما الحاليتين غير فعّالين .

* **إيف لاكوست** :اعتقد أن المفاجأة السياسية الكبيرة التي حصلت في السنين الأخيرة بالنسبة لأولئك الذين يعتقدون ان الدين ما هو إلا عبارة عن ايديولوجيا من جملة ايديولوجيات اخرى ، اقول ان هذه المفاجأة الكبيرة التي تتمثل في أن الاسلام قد أبان عن قوته خارج إطار إنتاج الايديولوجيات طبقاً للعلاقات (والصراعات) الطبقية . في الواقع ان الدين يخترق ويتجاوز التمايزات الطبقية والثقافية .

* **محمد أركون** :هذا صحيح ، ان ظهور الاسلام من جديد كقوة تجييش جماهيرية ضخمة لم يحظ حتى الأن بتحليلات نظرية جادة . أعتقد انه توجد في هذا المجال مادة جديدة تدعونا لإعادة النظر في تقييماتنا وتحديداتنا للظاهرة الدينية بشكل عام ، ثم تجديد رؤيتنا لها .

* **إيف لاكوست** :كيف تعرِّفون الدين من أجل تمييزه عن الايديولوجيا ؟

* **محمد أركون** :أعرفه ، أولاً ، انطلاقاً من قاعدة لغوية . هناك أساس لغوي للدين ، وهذا الأمر ينطبق بشكل خاص على ما ندعوه بأديان الكتاب : اي اليهودية والمسيحية والإسلام . إن هذه الأديان تستند على **الكتاب** (بالمعنى المثالي والمقدس للكلمة) ، اي انها تستند على نص شفهي في الأصل ، ولكنه أصبح فيما بعد نصاً مكتوباً . وقد ثبَّته كتابةً التراثُ ، واصبح بذلك مرجعاً مطلقاً لهداية كل فكر المؤمنين وسلوكهم .

انني اتحدث هنا عن اللسانيات او عن القاعدة اللغوية لكي أبين كيف ان التيولوجيا قد مارست حتى الآن احتكار تفسير معنى الاديان أو العامل الديني . إن الفقيه التيولوجي (اللاهوتي) يستمر في ممارسة ضبط حازم ودقيق لكل ما من شأنه أن يغير في التعاليم التي تلقّيناها عن طريق الدين **الحقيقي** أو الأرثوذكسي . ينبغي أن نبيِّن اليوم انه إذا كانت هذه المرجعية التيولوجية ينبغي أن تستمر في فرض نفسها ، فإنه لم تعد لها الأولوية من الناحية المنهجية . ينبغي على التحليل الألسني والتاريخي اليوم ان يسبق كل التركيبات والتوليفات التيولوجية . كان علم الأصول الاسلامي ، او علم **أصول الفقه** قد اعترف بالأولوية الابستمولوجية للتفسير .

هناك عملية تاريخية لتشكيل كل تجربة دينية أو تعبير ديني ، ولا يمكننا أن نتجاهلها عندما نريد أن نتحدث على الصعيد التيولوجي . بمعنى آخر ، فإنني اقوم بعملية قلب للموقف التقليدي الذي يعطي أولوية الكلام للتيولوجيين من اجل تحديد الايمان **الحقيقي** (العقيدة الحقيقية) . يبدو لي على صعيد المعرفة العلمية أن التحريات والتساؤلات اللغوية والتاريخية والانتربولوجية هي التي تشكل سبل النفاذ الى المجال الديني من أجل فهمه . نلاحظ أن البحوث العلمية في هذه القطاعات الثلاثة لمَّا تكد تبتدىء . ولهذا السبب فإنني أصر على موقفي المتمثل بالقول إن مفهوم الدين في الوقت الراهن لم يُبلْوَر بالشكل الكافي من اجل أن نتمكن من التحدث عنه بشكل علمي ، ومن أجل أن نقوم بالقفزة (أو الطفرة) النظرية التي تؤكد على أن الأديان ليست إلّا مجرد ايديولوجيات .

* **إيف لاكوست** :فيما يخص الإسلام ، نلاحظ ان الاهمية التي تولونها للتحليل اللساني والكتاب المقدس هي صحيحة ومهمة جداً بسبب أن الكتاب المقدس هو المرجع الأساسي لشعوب عديدة ذات ثقافات متغايرة جداً ولغات مختلفة عن لغة القرآن . ان المسلمين يتكلمون لغات عديدة كالتركية والفارسية والاوردو والبنغالية والحوص ، الخ . . ولكنهم يتلون القرآن باللغة العربية فقط .

* **محمد أركون** :صحيح ان ظاهرة الكتاب (اقصد الكتاب المقدس) بالنسبة للإسلام هي أكثر اهمية منها بالنسبة للمسيحية ، ولكن المسيحيين يقومون بنوع من المداورة أو الحيلة في رأيي إذ يقولون بان الشيء الاساسي في الدين لا يستند على الكتاب وإنما على شخص المسيح الذي يمثل الكلام الإلّهي مجسداً . ولكننا نلاحظ من ناحية الممارسة العملية أنه من أجل التوصل إلى رسالة المسيح ، فإن المسيحيين مضطرون للمرور من خلال الأناجيل ، وإذن من خلال النصوص . فيما يخصّني فإني أجد أن الشيء الأساسي هو قراءة النصوص ، أو ما يدعوه بول ريكور بـ « **الحالة التأويلية لأهل الكتاب** » .

* **إيف لاكوست** :لكن ، ليس للأناجيل نفس مكانة القرآن ، لأنها نقلت إلينا عن طريق أشخاص مختلفين ، ثم انها ليست متماثلة . يضاف إلى ذلك أننا نستطيع أن نختار أو نستشهد بهذا المقطع من هذا الأنجيل أو بذلك المقطع من انجيل آخر . . .

* **محمد أركون** :القرآن يحتوي على آلاف

الآيات ، وتتطلع اليه كل الجهات اليوم من اجل أن يجيب على الأماني والمطامح المختلفة . ويمكن للمرء أن يختار هذه الآية دون تلك من أجل دعم نظرية نضالية معينة أو معتقد معين ، وحتى من أجل خدمة المصالح العابرة . صحيح ان المكانة التيولوجية للأناجيل والقرآن مختلفة ، ولكن مكانتهما اللغوية والألسنية هي واحدة . انهما ـ اي الأنجيل والقرآن ـ يتعرضان لنفس عمليات الاجتزاء والانتقاء والتركيبات والاسقاطات والاستنباطات من أجل الإجابة على مطالب المخيال الفردي والجماعي .

الأرثوذكسيات والتمايزات الجغرافية

* **إيف لاكوست** :لنعد الآن إلى موضوع هذا العدد من هيرودوت « جيوسياسية الاسلامات » . انتم موافقون على صيغة الجمع هذه ، ولكن ألن تصدم معظم المسلمين ؟

* **محمد أركون** :أود أن أقول ، أولاً ، بأنني لا أعطي للإسلام صيغة الجمع من أجل التأكيد على أن كل إسلام من هذه الاسلامات يميل إلى تشكيل ذاته كأرثوذكسية تحذف ما عداها . ذلك ان الحنين الى الحقيقة المطلقة لا يزال احدى خصائص الظاهرة الاسلامية . إن هذا العنوان بصيغة الجمع يصدم فقط أولئك الذين لا يستطيعون أن يفكروا بالمنشأ التاريخي والثقافي الاجتماعي لمفهوم الارثوذكسية . انه يصدم اولئك الذين يعتقدون بأن الارثوذكسية هي عبارة عن وحي إلٰهي . وانها قد التقطت وسجلت من قبل رجال اختارهم الله خصيصاً لذلك . وهذه هي نظرية التيولوجيين بخصوص اصحاب محمد الذين يُعتقد بانهم يتمتعون جميعاً بذاكرة لا يعتريها الوهن وأمانة أخلاقية متكيفة تماماً مع متطلبات النقل الدقيق والصادق لكلام الله (القرآن) وللحديث النبوي . إن هذا الاعتقاد يمثل تصوراً موجَّهاً لتغذية مخيال المؤمنين ، ولكنه لا يثبت أمام الامتحان والتحليل . اقصد انه لا يثبت أمام التحليل التاريخي أو النفسي أو اللساني ، ولا يثبت أمام المعاينة السياسية أو الجغرافية .

* **إيف لاكوست** :كذلك لا يثبت أمام المعاينة الجيوسياسية ، لاننا نلاحظ أنه توجد الآن وسَطَ العالم الاسلامي ، خلافات سياسية كبيرة بين المناطق أو البلدان التي تسيطر عليها الارثوذكسية السنية ، وبين المناطق أو البلدان التي تسيطر عليها الارثوذكسية الشيعية .

* **محمد أركون** :كنت قد تحدثت مطولاً في كتاب « العقل الاسلامي »[١] عن هذا الموضوع ، وبيَّنت اننا من الناحية التيولوجية لا نستطيع أبداً أن نبطل مفهوم الأرثوذكسية كما يتصورها التراث الشيعي ، كما لا نستطيع أن نبطل مفهوم الأرثوذكسية كما يتصورها التراث السني . فبعد وفاة النبي لم تعد هناك اية سيادة أو سلطة مؤهلة لحسم المناقشة التيولوجية ، هذه المناقشة التي شكلّت خصوبة الفكر الإسلامي طيلة القرون الهجرية الخمسة الأولى . وعندما يتفحص المؤرخ عن كثب فكر هذه الارثوذكسيات المتنافسة يلاحظ ان منشأها هو بشكل اساسي ، سياسي ثم اجتماعي وثقافي وحتى جغرافي .

* **إيف لاكوست** :ما هي اذن أنواعُ الإسلام أو (الاسلامات) التي تميز فيما بينها ؟ هل تقسمها إلى صنفين أو ثلاثة إذا ما أضفت الخوارج ، أم انك تقيم ايضاً تمييزات أكثر دقة ؟

* **محمد أركون** :إذا لم نأخذ بعين الاعتبار إلاّ حالة افريقيا الشمالية أوحتى حالة المغرب أو الجزائر فقط ، اللذين ينتسبان بشكل شبه كلي للإسلام السني ، فإننا نلاحظ وجود عدة صيغ أو أشكال للإسلام . وفي رأيي ان العوامل الجغرافية تساهم في تكوين هذه الصيغ والأشكال المتمايزة . إن دين سكان الجبال ليس هو نفس دين سكان السهول أو دين سكان المدن والعواصم .

ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار مدى ضعف أو قوة انتشار الأفكار طبقاً للشروط والتحكمات الجغرافية .

إذا ما نظرنا للموضوع من وجهة نظر اتنولوجية (أقوامية) لاحظنا أن الصبغة الدينية لسكان الجبال في المغرب سابقة على الإسلام بكثير . كان « المرابطون » هم الذين أدخلوا الإسلام إلى الجبال ، اقصد أنها لم تكن كافية من أجل تلاوة آيات القرآن ونقلها وتعليم بعض مبادىء التيولوجيا . لقد رسخّ هؤلاء المرابطون العقائد المحلية السابقة على الإسلام عن طريق إصباغ الصفة الإسلامية عليها . وقد انصهروا هم بالذات في حياة (القرويين) كما نلاحظ ذلك بشكل حيّ حتى هذا اليوم . وأما في السهول فنلاحظ أن الظاهرة المرابطية موجودة أيضاً . ولكن سرعة انتشار الأفكار أكثر سهولة وبالتالي فإننا نجد صِيَغاً متنوعة من الإسلام بحسب اقترابنا أو ابتعادنا عن المراكز الحضرية والمدن . أما إسلام العلماء أو الفقهاء فهو إسلام المدن والمراكز الحضرية الكبرى ، وهو يقف بعنف في وجه الإسلام الشعبي المذكور آنفاً ، أي إسلام المرابطين . من المعروف أن هذا النوع الأخير من الإسلام قد علمته للسكان

الأميين ذوي التراث الشفهي فئةٌ من المتعلمين من رجال الدين . ونلاحظ أن هذه العقائد « الشعبية » تسبغ نوعاً من المهابة والقدسية على شخصية رجال الدين هؤلاء . إن هذا التضاد بين إسلام المدن والإسلام الشعبي قد تجلى سياسياً بشكل واضح في الفترة الماضية . ووجدنا أن **العلماء** أو فقهاء المدن قد اتهموا المرابطين :أنهم عملاء للاستعمار . وقد انضاف هذا التحقير السياسي إلى التحقير الديني بل إنه قد جرَّه معه بقوة الأشياء .

* **إيف لاكوست** :ولكن هذه التمايزات التي تقيمها في المغرب السني بين إسلام الجبال وإسلام السهول أو بين إسلام المرابطين وإسلام **العلماء** ، تبدو بمثابة فروقات بسيطة إذا ما قارنّاها بالصراع الموجود في الشرق الأوسط بين الشيعة والسنة .

* **محمد أركون** :السنة والشيعة ينتسبون جميعاً إلى ما أدعوه بـ « النواة الصلبة » للإسلام . اقصد بذلك المرجع المشترك لكل المسلمين ، أي النبي والقرآن ، هذا المرجع المتضمن في الشهادة : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » . هذه هي النواة التيولوجية الصامدة بالفعل والتي لا خلاف عليها . يضاف إليها الشعائر الخمسة التي يخضع لها كلّ المسلمين . هذا الشيء مشترك لدى كل المسلمين ، وعلى هذا الصعيد لا يوجد أي فرق بين السنة والشيعة . ولكن ما عدا ذلك هنالك تمايزات وصيغ عديدة ومختلفة .

إن تعددية الاسلامات واضحة من وجهة النظر التيولوجية ، لأننا نجد انتشار العديد من المدارس التيولوجية والقانونية التشريعية . في المغرب نحن سنيّون مالكيون . وفي الجزيرة العربية تغلب المدرسة السنية الحنبلية . وفي تركيا اغلبية حنفية . ولكن الخلافات التيولوجية الكبيرة جداً هي تلك التي توجد بين السنة والشيعة . هنا نلاحظ وجود تراثين وذاكرتين جماعيتين مختلفتين تماماً . ونلاحظ أن كتب الحديث المنسوبة للنبي مختلفة جداً . السنة يعتمدون على **البخاري** في هذا المجال ، والشيعة يعتمدون على **الكليني** الذي سجل تراث الأئمة الاثني عشر . يضاف إلى هذه الخلافات النصية خلاف في التفاسير . نلاحظ أن السنيين يعطون الأولوية للتفسير الحرفي والنحوي للقرآن ، في حين أن الشيعيين يولون الأهمية للتأويل الباطني . وكل ذلك يفترض ابستمولوجيتين مختلفتين ، ونوعين من ممارسة الروابط بين اللغة والفكر .

على المستوى الثقافي هناك أيضاً صيغ مختلفة للإسلام . فمثلاً إذا ما نظرنا للمسألة التي نوقشت طويلاً والخاصة بالمنطق والنحو فإننا نجد تضاداً عنيداً مستمراً بين أصحاب المنطق « الإسلامي » وأصحاب المنطق الأرسطي . لقد حصلت مناقشات مهمة جداً بخصوص هذه المسألة في العصر الكلاسيكي . لهذا السبب بالذات فإني أتحدث عن عقول إسلامية بالجمع ، وليس عن العقل الإسلامي الواحد كما يريد التيولوجيون . إن الأوساط والسياقات الثقافية بالإضافة إلى منهجيات العقل الساعي لبلورة التيولوجيا والقانون والتفسير هي مختلفة إلى درجة إننا نجد أنفسنا بإزاء ابستمولوجيات مختلفة وبالتالي بإزاء أنظمة ثقافية ذات خصوصية وفرادة لا تختزل .

* **إيف لاكوست** :في نهاية المطاف نجد أن التمايزات والاختلافات في الإسلام هي أكبر مما هو موجود في المسيحية .

* **محمد أركون** :في الواقع أنه من الممكن أن نقول ذلك وخصوصاً فيما يتعلق بالعصر الكلاسيكي الممتد بين القرن الأول والقرن الخامس الهجري . كانت هناك في ذلك الوقت تعددية هائلة في الأصوات الثقافية والعقائدية والعقلية . وكانت هذه التعددية تتناسب مع الخليط العرفي الثقافي المتنوع للشرق الأوسط وللبلدان والعوالم التي افتتحها الإسلام . يعود هذا التنوع الكبير أيضاً إلى ظاهرة أنه لم يكن يوجد في الإسلام سلطة عقائدية موحدة كما هو عليه الحال في المسيحية (= سلطة الكنيسة والبابا) . كان عندكم في المسيحية حتى انفجار حركة **الإصلاح** اللوثرية المذهب الكاثوليكي الذي تسيطر عليه سلطة تيولوجية واحدة لا تسمح بانتشار أي مذهب آخر ما عدا مذهب البابا . في الإسلام لا توجد هذه السلطة الواحدة المؤسساتية من أجل السيطرة على التعبير والصياغات والتشكلات الدينية .

مع ذلك ينبغي أن نضيف هنا القول بأنه يوجد في الإسلام نوع من السلطة أو الضبط الذي يتم عن طريق **الاجماع** . وهذا الاجماع يمثل إحدى دعامات التيولوجيا والتشريع . ولكن هذا الإجماع يتحقق ويتم عن طريق ممارسة أو آلية تاريخية واجتماعية ثقافية قابلة للدرس والكشف . إنه يمثل نوعاً من الالتفاف الجماعي التدريجي حول شخص معروف ومعترف به لانه يفرض نفسه عن طريق سلوكه ، وليس لانه مفروض من فوق عن طريق المؤسسة . بمعنى آخر ، فإنه عندما يختفي هذا

الشخص أو يموت فإن عملية الاستيلاء على السيادة أو السلطة العقائدية تبتدىء من جديد . ينبغي أن نضيف إلى ذلك أيضاً وجود السلالات المرابطية .

التمايزات الجيوسياسية

* **إيف لاكوست** : ما هي التمايزات الجيوسياسية التي تبدو لكم الآن وسْط العالم الإسلامي أكثر أهمية من غيرها ؟

* **محمد أركون** :يمثل العامل الجيوسياسي (= الجغرافي السياسي) أحد عوامل التمايز والتمييز بين المجتمعات الإسلامية وذلك لان كل مجتمع إسلامي قد شهد تاريخاً خاصاً منذ القرن التاسع عشر . إن هذا التاريخ مرتبط بالتأثير الكبير أو المحدود الذي مارسته الهيمنة الاستعمارية ، ومرتبط أيضاً بالاشكال التي اتخذها النضال من أجل التحرير والاستقلال . وقد نتج عن ذلك صعوبات ومشاكل مختلفة من أجل تأسيس دولة ذات سيادة ومن أجل إقامة المؤسسات . ولكننا نلاحظ أن هذه الأنظمة غير مستقرة كثيراً . والسبب العميق لعدم الاستقرار الحالي لمعظم هذه الأنظمة هو أنها تجهد في تشكيل الدولة دون الأمة . إنها مسؤولة عن مجتمعات مقطوعة تاريخياً وثقافياً عن تراثاتها . لقد حصل انقطاع تاريخي كبير في الوعي الجماعي بدءاً من القرن التاسع عشر ، وفي رأيي إن هذا الانقطاع قد ازداد خطورة بعد الاستقلال عندما ظهرت الأنظمة الجديدة واستخدمت النموذج (الموديل) الغربي في الوقت الذي راحت تبحث فيه عن مشروعيتها في الماضي الإسلامي البعيد المنال تاريخياً .

* **إيف لاكوست** :إنكم تولون إذن أهمية كبيرة للظاهرة الاستعمارية ولخصوصياتها ولأشكال حروب الاستقلال داخل التعددية الجيوسياسية للعالم الإسلامي ؟

* **محمد أركون** :فيما يخصني شخصياً فإن لي موقفاً مختلفاً بما فيه الكفاية عن الايديولوجيا الرسمية لمعظم الدول التي قامت بعد حروب التحرير . يلح الجميع على مسؤولية الاستعمار الذي ساهم بالفعل في عزل كل بلد عن البلدان الأخرى وزاد بذلك من خطورة الانقطاع التاريخي . ولكنني أرى إنه ينبغي أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونوسع من البعد التاريخي للتحليل . فأعود إلى الوراء حتى القرنين الرابع والخامس الهجريين (= العاشر والحادي عشر الميلادي) من أجل ان استكشف المنشأ التاريخي لظاهرة الانقطاع التي حصلت بالقياس إلى كل نظام التشكيلة السياسية والاجتماعية والثقافية التي ميزت الإسلام الكلاسيكي .

إن الدولة الخليفية التي وحدت **المملكة** (أي العالم الإسلامي في ذلك الحين) لم تستمر إلا إلى عام ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) . بعدئذٍ تشظّت هذه المملكة سياسياً بصفتها امبراطورية مبنية على نفس المرجعية السياسية - الدينية الواحدة . بعد حصول هذا التشظي ظهرت مراكز سلطوية عديدة ، ووجدت بالتالي احتمالات وإمكانيات عديدة لنمو وتطور ما ندعوه بالإسلامات على صيغة الجمع .

* **إيف لاكوست** :تشيرون هنا بشكل خاص إلى الإسلامات العربية والإسلام الإيراني . . .

* **محمد أركون** :حصلت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي قطيعة تاريخية بين الإسلام ذي التعبير العربي وبين الإسلام ذي الثقافة الايرانية . إن ذلك الحدث يمثل ظاهرة مهمة إلى أبعد حد إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الدور الذي لعبته الانتلجنسيا الإيرانية في صياغة المؤسسات والثقافة والحضارة الموصوفة عادة بالعربية . إن هذه الصفة صحيحة **لغوياً** حتى القرن الحادي عشر على الأقل . ذلك أن المثقفين الايرانيين المتشبّعين بعمق بالتراث الثقافي الفارسي العريق والراسخ كانوا يكتبون بالعربية . وقد ساهموا في خلق ما يدعى بـ **الأدب** بالمعنى الكلاسيكي للكلمة ، أي ساهموا في خلق الأنسية العربية (أنظر بهذا الصدد كتابي عن الأنسية العربية في القرن الرابع الهجري)[٢] . إن القطيعة التي حصلت بدءاً من القرن الحادي عشر الميلادي قد اساءت للديناميكية العقلية والثقافية للمجتمع الاسلامي الكلاسيكي في زمن الخلافة . بعد أن حصلت هذه القطيعة راح المثقفون الايرانيون يكتبون بالفارسية من جديد . وعندما جاء عهد الظاهرة التركية وفرضت اللغة التركية كلغة رسمية عُزِلَت اللغة العربية واصبحت فقط أداةً للاستخدام السكولاستيكي « الارثوذكسي » ، وانتهى عهد الصراع والتوتر الثقافي فيها عملياً بشكل تام . أودُّ أن أوضح هنا ان الظاهرة السكولاستيكية قد فرضت نفسها في جهة الإسلام السنّي ذي التعبير العربي خصوصاً ، وفي جهة الإسلام الشيعي ذي التعبير الفارسي خصوصاً .

* **إيف لاكوست** :إن هذين الاسلامين العربي والإيراني يحتلان مكانة مركزية وَسَطَ العالم الإسلامي .

أما « التوسع الثاني » للإسلام فقد أثار خلق هـذه الاسلامات التي ندعوها بـ « الهامشية » ، اقصد بذلك الاسلام الهندي والاندونيسي وإسلام جنوب الصحراء .

* **محمد أركون** :أنـا شخصياً لا أدعوها بـ « الهامشية » ، ولا اجمعها تحت عنوان أو صفة واحدة لانها شديدة الاختلاف . أنا اعتقد ، فيما يخصني ، إن المجتمع هو الذي يُولِّد أو ينتج التعبير الديني . بالطبع هناك منعطفات تاريخية وأوساط اجتماعية تكون فيها الظاهرة الدينية قوية جداً إلى حد أنها تمارس تأثيراً حاسماً على المجتمع . ولكنْ ، جذرياً وعميقاً نجد أن المجتمع هو الذي يصوغ وجه الدين ويستخدمه في هذا الاتجاه أو ذاك . لهذا السبب فإنني أتكلم على إسلامات افريقيا السوداء أو إسلامات جنوب شرق آسيا ، وذلك استناداً بالدرجة الأولى إلى الواقع الاجتماعي التاريخي والعرقي الثقافي الذي يؤثر عليه الإسلام كعامل من جملة عوامل أخرى .

الإسلام والتجييش السياسي

ينبغي أن نقول هنا بأنه توجد اليوم حركة توحيدية قوية بين هذه الأنواع المختلفة من الصيغ الاسلامية . وهذا ما دعوته بـ **الخطاب الاسلامي المعاصر** المنتشر في كل مكان ببديهياته وفرضياته وموضوعاته . إنه يشكل نوعاً من الهيكل الايديولوجي القوي جداً الذي تكوَّن ليس عن طريق الإشارة إلى تعاليم ايديولوجية محددة ، وليس عن طريق الاستعادة الحديثة للنصوص الكبرى التأسيسية وليس عن طريق الاجتهاد العقلي والعلمي القادر على ردم هذه القطيعة التاريخية التي تحدثنا عنها آنفاً ، وإنما تكوَّن بشكل أساسي من أجل تقديم الدعامة الايديولوجية للنضال ضد الاستعمار وضد الامبريالية . هذا هو الشيء الذي يشكل نواة الوعي الإسلامي المعاصر ولحمته والذي يُهيِّء للاسلام دوراً سياسياً في تجييش الجماهير الكبرى ذات العدد الديمغرافي المتزايد بسرعة هائلة .

إن الخطاب الاسلامي المعاصر مرتبط بالتجييش الاجتماعي والسياسي بالدرجة الأولى ، إمّا من أجل إنجاز مرحلة التحرير الوطني وإما من أجل مواجهة مهام ما يدعى بـ « البناء الوطني » بعد الاستقلال .

* **إيف لاكوست** :على الرغم من ذلك هناك ظاهرة تدهشني كثيراً ، تتمثل فيما يلي : نلاحظ أن حروب التحرير هذه ، خصوصاً تلك التي كانت أكثر طولاً وعنفاً كحرب الجزائر مثلاً ، أقول نلاحظ انها غير مصحوبة بخطاب ثوري يحتل فيه الإسلام مكاناً كبيراً . والشيء الذي يدهشني الآن أكثر من ذلك هو أن الفلسطينيين يشيرون إلى الإسلام بشكل ضعيف جداً . هذا على الرغم من أن الفلسطينيين هم الوحيدون الآن بين العرب الذين ينبغي عليهم أن يناضلوا ليس فقط من أجل الاستقلال وإنما أيضاً من أجل الحصول على الاعتراف بهويتهم القومية .

* **محمد أركون** :هناك جواب مزدوج على هذه النقطة . **فأولاً** إن الفلسطينيين كما تعرف مشكَّلون من المسلمين وايضاً من المسيحيين . ثم **ثانياً** هناك الظاهرة الثورية الفلسطينية . إن الثورة الفلسطينية تقدم نفسها كحركة علمانية . لكن ليست كل اجنحتها علمانية على نفس المستوى أو بنفس الدرجة .

* **إيف لاكوست** :ولكن الفلسطينيين لم يخلوا من الانقسامات لأسباب ايديولوجية . والأمر الذي يدهشني هو أن هذه الانقسامات قد حصلت حتى الآن لأسباب ماركسية وليس لاسباب دينية إسلامية . هل يوجد الآن مثلاً مجموعة فلسطينية إسلامية ؟

* **محمد أركون** :بالتأكيد لا . ولكن ضرورات الكفاح والرغبة في توحيد القوى المقاتلة تمنع فيما اعتقد التركيز على الدين بشكل صارخ . لهذا السبب يبدو لي ان الفلسطينيين هم الوحيدون الذين حافظوا على هذا الفصل بين العامل السياسي والعامل الديني . كان هذا الفصل قد انوجد مع جمال عبد الناصر في سني الخمسينات والستينات وحتى أوائل السبعينات . كان الخطاب الناصري يهتف باسم الوحدة العربية والثورة الاشتراكية العربية وليس باسم الاسلام . بعد سني السبعينات شهدنا ظهور حركات جديدة لم تعد تنسب نفسها للثورة العربية والوحدة العربية وإنما للإسلام . وهذا ما يحصل الآن في الجزائر وتونس حيث كانت الاتجاهات العلمانية قوية خلال الخمسينات . إن سبب هذه الظاهرة يعود في رأيي إلى مشكلة اجيال ، أي الفرق بين جيل وجيل . فنحن نجد أن بورقيبة وفرحات عباس وجماعة الـ GPRA الجزائرية وقادة الوفد في مصر كانوا جميعهم متأثرين « بفلسفة الأنوار أو التنوير » . كان التأثير الغربي وخصوصاً الفرنسي كبيراً على الانتلجنسيا العربية الاسلامية حتى مجيء الاستقلال .

* **إيف لاكوست** :ينبغي أيضاً أن نثير ذكرى أتاتورك

الذي ذهب بعيداً أكثر من غيره في هذا الخط العلماني بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . إني اتساءل أيضاً فيما إذا لم يكن من الضروري التمييز بين عدة مراحل في النضال السياسي . فعندما كانت هذه الشعوب تناضل من أجل الاستقلال كانت الإشارة إلى الإسلام خفيفة ، وكانوا يهتفون باسم الأمة آنذاك . وهذه هي بالضبط حالة الفلسطينيين اليوم والصحراويين الذين يناضلون من أجل الاعتراف بهويتهم القومية والذين هم وحدهم يحافظون ، حتى الآن ، على المفاهيم العلمانية . يبدو لي إن الإشارة إلى الإسلام تنمو وتزداد بمجرد الحصول على الاستقلال السياسي .

* **محمد أركون** :أنا لا أرى الأمور على هذا النحو تماماً . ينبغي في الواقع أن نأخذ بعين الاعتبار مفهوم الدولة . نلاحظ للأسف أن الفلسطينيين لم يتمكنوا حتى الآن من تشكيل الدولة التي يناضلون من أجلها ، ولا حتى من تشكيل حكومة مؤقتة . هذا مع العلم أن ظاهرة الدولة تخلق بالضرورة إمكانية تشكيل الوحدة القومية على غرار القوميات الأوروبية في القرن التاسع عشر . ولكن اين هو الواقع الاجتماعي الثقافي الذي يمكنها أن تنشيء عليه هذه الوحدة القومية ؛ انه واقع مفتت ومتشظٍ نظراً لتاريخ هذه المجتمعات بالذات ، وبالتالي فإن هذه الدول سوف تكون بحاجة لعوامل التوحيد . هنا بالضبط يتم اللجوء إلى الدين ليس فقط كمجموعة من القيم الاخلاقية والثقافية التي تحظى بالاجماع ، وإنما كذروة عليا للسيادة المطلقة المتعالية التي تقدم لها السلطات الجديدة مشروعيتها .

يضاف إلى ذلك إن الدول التي تشكّلت من خلال النضال ضد الهيمنة الاستعمارية هي بحاجة لمرجعيات ثقافية . وفي حالة الدول العربية نلاحظ العودة بقوة إلى اللغة العربية والثقافة العربية التي تحمل معها مضموناً دينياً لم يتعرض للنقد التاريخي والألسني والسوسيولوجي . إن هذا المضمون يمارس دوره كغذاء خصوصي للمخيال الاجتماعي لشعوب شابة جداً من الناحية الديمغرافية ومقطوعة عن الحداثة الثقافية والعقلية .

الأمة أم الاسلام ؟

* **إيف لاكوست** :هناك سؤال لا يزال يشغل بالي بخصوص حجم الاشارة الى الاسلام في الخطاب السياسي طبقاً للمراحل التاريخية . هذا السؤال هو : ألا نستطيع القول بأن الأولوية قد أعطيت خلال النضال ضد الهيمنة الاستعمارية لوجود الأمة وحقها في الاستقلال ، أقصد الأمة الجزائرية والأمة المغربية والأمة العراقية أو الأمة الفلسطينية ، الخ . . وذلك ضمن الحدود الموروثة عن عهد المساومة والتقطيع بين القوى العظمى الامبريالية ؟ ان هذا الخطاب المتعلق بالأمة لا يشير إلاّ قليلاً أو نادراً إلى الإسلام . ولكن ما أن يتم الاستقلال وتقام الدولة التي تنسب لنفسها صفة الأمة داخل إطار هذه الحدود حتى تظهر قوى المعارضة ضد قادة هذه الدولة ، وتستخدم الاسلام من أجل الحطّ منهم وتحقيرهم . إن قوى المعارضة هذه تؤكد على ان **الأمة** (بالمعنى الاسلامي للكلمة وليس بالمعنى الحديث) تضم مجموع المسلمين ، وهي تمثل في نظر المعارضين كياناً سياسياً أكثر عدالة وقوة من هذه الدول الصغيرة الموروثة عن عهد التقطيع والتجزئة الاستعمارية . إننا نلاحظ انه بقدر ما كان الخطاب العلماني الى حد ما والخاص بالأمة قوياً قبل عشرين أو ثلاثين سنة بقدر ما نلاحظ ان الخطاب الاسلامي هو الذي ينتصر الآن ويبرز قوته .

* **محمد أركون** :كانت الإشارة الى الأمة القومية شديدة التجييش طيلة حروب التحرير الوطنية وأثناء المرحلة الأولى من البناء الوطني التي تلت الاستقلال . فيما يخص العرب نلاحظ أن موضوع الأمة العربية قد حل محل الأمة الروحية بالمعنى الاسلامي للكلمة حتى موت جمال عبد الناصر . لا يزال البعث والقذافي يصران كل بطريقته واسلوبه المختلف على موضوع الوحدة العربية . ولكن التراخي « أو الخيبة القومية » إذا ما استخدمنا تعبير السيدة بيجي[٣] قد أخذ ينتشر ويكتسح النفوس بعد عام ١٩٧٠ . إن المواطنين يواجهون في حياتهم اليومية المشكلة المريرة والمؤلمة لعدم التطابق والتناسب بين الواقع المعاش داخل كل سياق قومي وبين الوعود الضخمة لخطاب الثورة العربية سابقاً وخطاب الثورة الاسلامية حالياً . في العالم العربي ابتدأنا بالكاد ندخل في مرحلة الوضعيات (L'Age des Positivités) اكاد أقول في عصر الوضعيات . أقصد بذلك إننا ابتدأنا بالكاد ندخل في مرحلة الرؤية العلمية للواقع كما هو عليه بكل نسيجه وعناصره وماديته .

إن مفهوم الأمة المغذّى من قبل التحديدات المستعارة من الغرب ليس له سوابق تاريخية ذات تجذُّر حقيقي في الحاضر ، وليس له انتشارٌ كافٍ في الوعي الجماعي لكي يستطيع مواجهة الفشل المتراكم للتجارب التي حصلت في الستينات ابان الفورة القومية الظافرة والعابرة . أن

يكون الاسلام قد استطاع الحلول محل الخيبة القومية بصفته ايديولوجيا ذات مصداقية ، فإن ذلك يبرهن كما قلت آنفاً إلى أي مدى تستطيع أديان الكتاب أن تتجاوز ايديولوجيات العصر الحديث العابرة والمؤقتة وذلك عن طريق قوة انبعاث لهذه الأديان وثرواتها الرمزية .

* **إيف لاكوست** :ولكن ينبغي أن نميز بين الأمة الجزائرية مثلاً أو المصرية الخ . . . ، من جهة ، وبين الأمة العربية التي تزعم انها تضم هذه الأمم ، من جهة أخرى .

* **محمد أركون** :بالتأكيد ! نلاحظ انه ما إن تمَّ تأسيس الدول هذه حتى راحت تؤكد على هويتها أو هوياتها «الخصوصية» كما يقال . بل ونلاحظ وجود استراتيجيات للتوسع والعدوان على البلدان « الشقيقة » من قبل البلدان الشقيقة ! إن مفهوم الأمة العربية كما ساد في المرحلة الماضية لم يعد كافياً ! وذلك لأن الواقع السياسي المعاش من قبل المواطنين يوجه تكذيباً قاطعاً لهذا المطمح الذي لا يزال يلهب النفوس والآمال العنيدة . يوجد ثمة نوع من احتياطي الأمل الذي يؤيد فكرة انتظار المهدي أو المنقذ أو « بطل الساعة » . . .

على هذا الصعيد ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الصفة التي لا تُعوَّض للخطاب القرآني والمتمثلة في شحنته الأسطورية والرمزية . إن هذه الشحنة تولِّد إلى ما لا نهاية الأمل بالعدالة وانتظار العدالة الموعودة من قبل ذلك الذي يملك « الجبروت والمجد » (أي الله) . نلاحظ أن الأنظمة الحالية أو الدول الحالية التي تبحث عن مشروعية لها فيما وراء ألاعيب السياسة وخيباتها ، بالاضافة إلى المواطنين المتعطشين للعدالة ، أقول نلاحظ أنهم يتفقون جميعاً الآن على تفضيل اللجوء إلى **الأمة** (بالمعنى الديني) وإلى القيم الدينية من أجل ضمان نجاح الأمة الدنيوية أو المدنية بشكل أفضل .

* **إيف لاكوست** :اتساءل ، أحياناً ، فيما إذا لم يكن مفهوم الأمة (بالمعنى الحديث) لدى الدول الاسلامية قد استهلك وبلي بسرعة شديدة وذلك بمقارنتها مع الأمم الأوروبية هذا مع العلم ان أوروبا التي فرَّقتها الحروب المرعبة والوحشية في القرن العشرين (الحرب العالمية الأولى والثانية) ينبغي أن تشك في مفهوم الأمة أكثر بكثير من الدول الاسلامية أو العربية . صحيح إن مفهوم الوطن في أوروبا ، لم يعد له نفس القيمة أو القوة كما كان عليه الحال في السابق . ولكننا نجد أن الفكرة القومية في أوروبا الشرقية لا تزال قوية جداً حتى لدى شعوب عانت كثيراً من تقلبات سياسية خطيرة . هذا الوضع ينطبق بشكل خاص على بولونيا الممزقة والمقسمة منذ القرن الثامن عشر . أما بالنسبة للشعوب الاسلامية فيبدو لي إن مفهوم الأمة قد عتق وبلي بعد مرور عشرين أو ثلاثين سنة فقط على الاستقلال السياسي والحياة السياسية . هذا على الرغم من أن هذه الحياة السياسية المستقلة والقصيرة لم تشهد في الحقيقة تمزقاتٍ وحروباً مخيفة كالتي شهدتها أوروبا . هكذا نلاحظ ان فكرة الأمة القومية في العالم العربي والعالم الاسلامي قد استهلكت وبليت إلى حد أنه ينبغي أن نستبدل بها المرجعية الدينية الاسلامية . كنت قد تناقشت في هذا الموضوع مؤخراً مع جان دريش ، وقال لي بأن فكرة الأمة أو القومية هي ذات خصوصية غربية وانها لا يمكن أن ترسخ في المجتمعات الاسلامية لهذا السبب . وقد أجبته قائلاً بأنني لا اعترف كثيراً بـ « خصوصية » هذا المفهوم الغربية لسبب بسيط هو اننا نجد أُمماً راسخة وعريقة غير عربية كالأمة الفيتنامية والأمة اليابانية . . .

* **محمد أركون** :إنني لا أشاطره وجهة نظره . ولكن يبدو لي مهماً الانتباه إلى أن الغرب قد شهد تجربة تاريخية ذات استمرارية وتواصل أقوى بكثير مما شهدته البلدان الاسلامية أو العربية . فمثلاً في فرنسا ، أنتم حظيتم باستمرارية غير منقطعة منذ تأسيس الدولة في عهد هيغ كابي . وأما فيما يخص البلدان الاسلامية فإننا نلاحظ وجود انقطاعات تاريخية عديدة بسبب العدد الهائل للغزوات والفتوحات الأجنبية التي شهدتها هذه المنطقة منذ نهاية الخلافة . أشير هنا إلى غزو المغول لبغداد عام ١٢٥٨ ودور « العبيد » (الذين هم أتراك في الغالب) في تطور بنى السلطة ، وضغوط الغرب منذ الحروب الصليبية ثم ضغوطه فيما بعد بشكل مستمر بدءاً من القرن الثامن عشر . كل هذا قد جرَّ معه انقطاعات وثغرات أو فجوات في مسار التطور التاريخي للشعوب العربية والاسلامية . وقد انعكس ذلك على الوعي التاريخي للعرب والمسلمين . يشار اليوم في البلدان العربية بشكل ملحّ وايديولوجي لما يسمى بالعصر الذهبي للإسلام ، أي للفترة الكلاسيكية عندما كان هذا العصر يشكل كياناً سياسياً . ولكننا نجد في حقيقة وعي المسلمين والعرب أن هنالك نسياناً كاملاً وجهلاً كاملاً للوقائع التاريخية والثقافية لتلك الفترة الذهبية . إن ذلك يشكل فجوة كبيرة في وعي المسلمين ، ولا ينجح في ردم هذه الفجوة تعليمُ التاريخ

بشكل رسمي وايديولوجي كما هو حاصل اليوم في المجتمعات العربية والإسلامية .

* **إيف لاكوست** :ألا تهيمن على التصورات السياسية للمسلمين منذ زمن طويل جداً ، أي منذ بدايات الاسلام ، فكرةُ المجموع الجيوسياسي الضخم والمتوسع باستمرار ، اقصد العالم الاسلامي ؟ بالمقابل نجد أن التصورات السياسية للأوروبيين أكثر محدودية بسبب تجاور الأمم ووجود أمم أخرى . بمعنى آخر ، ألا يوجد بين التصورات الجيوسياسية المفضلة للمسلمين والأوروبيين فرقٌ في درجة التجريد والكبر والعظمة ؟ ألا توجد في وعي المسلمين وتصوراتهم الفكرة المزمنة والمهيمنة التي تريد لَمَّ الشعوب المختلفة عن طريق الدين ، هذا في حين أن معظم الأمم في أوروبا مؤسسة على فضاءات جغرافية محددة ومضادة للأمبراطوريات ؟

* **محمد أركون** :اعتقد إن ما تقوله له مبرر إلى حد ما فيما يخص الحقبة الكلاسيكية من الإسلام، أي في زمن الخلافة . كان هنالك ما بيَّنه اندريه ميكال بشكل جيد ، اقصد فكرة **المملكة** (= العالم الاسلامي) . كانت هذه الفكرة تعني انه ليس للمملكة حدود وإن الدولة الخليفية ينبغي أن تتوسع أكثر فأكثر لأن الأرض كانت متصوَّرة ضمن المنظور الروحي للخلق الإلّهي الذي وكَّل أمة معينة هي الأمة الاسلامية بنشر نعم الله وعبادته . كانت هناك إذن رابطة وثيقة ما بين الرؤيا الدينية المحضة وبين التصورات الجيوسياسية . كانت هذه التصورات حقيقة واقعة حتى انهيار الخلافة وتشظّيها . لقد حاول العثمانيون عبثاً أن يعيدوا المملكة التي كانت تمثل فضاء النشاط البشري المطابق لأوامر الله . إذا ما استخدمنا المصطلحات القانونية ـ الدينية وجدنا أن الفقهاء قد عارضوا بين دار الإسلام ودار الحرب التي تمثل الفضاء الذي لم تكتسحه بعد الحقيقة الاسلامية .

هذا التضاد يتضمن بالضرورة فكرة انتشار الإسلام حتى يشمل الأرض كلها . إذن قولك يجد له تبريراً فيما يخص المرحلة الكلاسيكية .

أما في الفترة المعاصرة فنحن مصابون بعدوى القومية ذات الطراز الأوروبي . يكفي مثالاً للبرهنة على ذلك أن نذكر الصراعات التي تجري من وقت لآخر بشأن مشكلة الحدود بين الدول العربية أو الاسلامية . لا تزال الإشارة « الروحية » للأمة موجودة ولكنها تظل غامضة جداً واسطورية وتعبر عن نزعة الحنين للماضي البعيد . لم نُعِد التفكير من جديد ، حتى الآن ، بمقولة **الأمة** (بالمعنى الاسلامي للكلمة) واهميتها بالنسبة للخيال الاسلامي المشترك ـ والشائع . ان الحرص الشديد على الحدود الاقليمية والوطنية لكل دولة يقدم تكذيباً قاطعاً لمفهوم **الأمة** بالمعنى الديني .

فيما يخص الجهاد

* **إيف لاكوست** : ولكن الحركة الاسلامية تريد إلغاء هذه الحدود التي تفصل بين الدول الاسلامية . ألا يهدف **الجهاد** إلى اختراق هذه الحدود المعتبرة بمثابة إرث استعماري ؟

* **محمد أركون** :أرى ، فيما يخصني ، إن مفهوم الجهاد يستخدم اليوم كأداة للتجييش ، وهو بالتالي يمثل إحدى دعامات ايديولوجيا الكفاح . ولكنهم يصلونه بهذا الدين الذي يُغذّي المخيال الاجتماعي . كنت قد قلت في بداية هذا الحوار انه لا ينبغي أن نخلط بين الايديولوجيا والدين .

* **إيف لاكوست** :في حالة الخميني نلاحظ وجود هذا المزيج بين العامل الديني والعامل الايديولوجي . . .

* **محمد أركون** :هناك بلا ريب خلط لا مفرٌ منه بين المرجعية « الدينية » وبين الإكراهات الايديولوجية المتعاظمة ، ليس فقط في حركة الخميني وإنما في حركات أخرى عديدة . ولكن من المؤكد أن هدف تجييش الجماهير في هذه الحركات هو سياسي لا ديني . لهذا السبب يمكننا أن نتحدث عن علمنة هائلة للدين يقوم بها بالذات أولئك الذين يستخدمون الاسلام من أجل إنجاح ثورة اجتماعية أو سياسية ؟ والاقتباسات التي يقتطعونها من القرآن لتأييد وجهة نظرهم تؤيِّد هذا التصور للحرب « العادلة » وذلك عن طريق استعادة هذه الدلالات الدينية الموجودة بقوة في هذا النص المؤسِّس .

ولكن التحليل الألسني والسيميائي والتاريخي لا يترك مجالاً للشك في السمة الايديولوجية للجهاد حتى على صعيد القرآن ومرحلته . يكفي للاقتناع بذلك أن يعود القارىء للسورة التاسعة (انظر كتابي : قراءات في القرآن)[٤] .

هل هناك من حاجة للقول بأن ظاهرة تنكير أو تقنيع (من قناع) الفاعلين الاجتماعيين (= المسلمين) للرهانات الفعلية لسلوكهم ليس حكراً على المجتمعات الاسلامية ؟ ولكن الناس لا يلحظون ذلك بشكل واضح

لان الظاهرة لم تُحلَّل حتى الآن كما ينبغي .

*** إيف لاكوست** :هل تعتقد بأن الشيعة تستلهم الجهاد اكثر من السنة ؟

*** محمد أركون** :أعتقد انه ليس من المهم هنا التمييز بين الشيعة والسنة . سوف اقول فقط بأن مجموعة ما من المسلمين هي التي تلجأ اليه اكثر من غيرها طبقاً لمستوى ثقافتها وحالتها التاريخية . انطلاقاً من هذه العناصر المحسوسة والملموسة أحدِّد الصبغة الخاصة التي يتخذها **الجهاد** . ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الخصائص المحسوسة لكل مجموعة اجتماعية ، وأنا ارفض ، بشكل مطلق وقاطع ، تفسير الظاهرة عن طريق الايديولوجيات التيولوجية المؤدلجة بشكل زائد عن الحد .

*** إيف لاكوست** :ولكن في بداية حوارنا كنت قد قلت بأن السمة الاساسية للدين هي انه يتجاوز المجتمع (اي مجتمع دون غيره) ويتجاوز التاريخ .

*** محمد أركون** :بالتأكيد ، ولكن العامل الديني هو عبارة عن عنصر توتر وعن حركة موجودة دائماً في الوعي الجماعي ، ولكنه يمتزج بالاهداف والمطامح التي تفرضها الحياة اليومية والسياسية لكل جماعة . ينتج عن ذلك هذا الميل الطبيعي لاستخدام الدين الذي يمثل قوة داخلية من أجل تحقيق اهداف ملموسة ودنيوية ومباشرة . لم نتحدث عن ضرورة اللجوء إلى مناهج علم النفس والتحليل النفسي من أجل إضاءة طبيعة الدين ووظائفه . كنا قد تحدثنا بشكل خاص في هذه المقابلة عن التجليات اللغوية والاجتماعية والمؤسساتية للدين . ينبغي تصحيح أو تكملة هذه المنهجيات المضيئة ولكن غير الكافية بواسطة فتح مجال بحث جديد يخص معرفة الحياة الداخلية الحميمة للشخص البشري . لا يمكننا أن نفتح مجالاً للبحث المتجدد عن الشخص البشري إذا لم نولِ مكاناً واسعاً للأديان .

د . هاشم صالح

باريس في ١٩٨٥/٣/٦

(مجلة / هيردوت / عدد ٣٥)

هوامش ومراجع :

(١) سوف تقدم هيرودوت عرضاً لهذا الكتاب ولكتب أخرى تخص الاسلام في عددها الثاني المكرس لـ « جيوسياسية الاسلامات » (شباط ١٩٨٥) .

Pour une critique de la raison islamique (1984)

(٢) انظر مطبوعات ج . فران الفلسفية . الطبعة الثانية (١٩٨٢) .

(٣) مطبوعات ماسبيرو (١٩٨٢) .

(٤) مطبوعات ميزون نيف اي لاروز (١٩٨٢) .

Lectures du Coran (1983) .

صدر هذا الكتاب الاخير مع كتاب « نقد العقل الإسلامي » عن دار « ميزون نيف أي لاروز » . وقد اوشكنا على انهاء ترجمة « نقد العقل الاسلامي » ، ونرجو أن يصدر في أقرب وقت عن « مركز الإنماء القومي » في بيروت .